

فلسفة الأهواء في الفكر الغربي الحديث

مقاربة تحليلية نقدية للتصور الكانطي للأهواء

The Philosophy of Passions in Modern Western Thought
A Critical Analytical Approach to the Kantian Concept of Passions

عماري خيرة

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،

Kheira.amari@univ-alger2.dz

النشر: 2025/12/31

القبول: 2025/12/21

الاستلام: 2025/09/21

ملخص:

تندرج فلسفة الأهواء في بعدها الأنثروبولوجي ضمن التساؤلات الفلسفية الكبرى التي تدور حول حقيقة الإنسان بين بعده العقلاني وبعده النفسي الذي يشتمل الأهواء. و من هنا اختلفت المدارس الفلسفية في مقاربتها للأهواء مثلما يتضح ذلك في هذا المقال من خلال التطرق إلى الرؤية الكانطية التي تنخرط في الخط العقلاني لتاريخ الفلسفة الذي يمتد من سقراط إلى المذاهب العقلانية الحديثة و المعاصرة و التي تؤكد على البعد العقلاني في الإنسان وتُسقط الأهواء من التركيبة الإنسانية.

فإلى أي حد يمكن تبني المقاربة العقلية للوجود الإنساني مثلما قدمها كانط ؟ وهل الأهواء تنزل الإنسان من مرتبته وتفقده حرية التفكير والتصرف ؟ أم أن الأهواء طاقة في التركيبة الإنسانية لا تعترف بالحدود ولا بالمنطق وتسمح للإنسان بتجاوز حدوده النفسية العقلية والاجتماعية ؟
الكلمات المفتاحية : الأهواء ، كانط ، العقل ، الرغبة ، مرض ، طاقة.

Abstract:

the philosophy of passions, in its anthropological dimension, falls within the major philosophical questions that revolve around the reality of man between his rational dimension and his psychological dimension, which includes the passions. Hence, the philosophical schools differed in their approach to the passions, as will become clear in this article by addressing the Kantian vision, which is involved in the rational line of the history of philosophy, which extends from Socrates to the modern and contemporary rationalist doctrines, which emphasize the rational dimension in man and drop the passions from Human structure.

To what extent can we adopt the rational approach to human existence as presented by Kant? Do passions demote a person from his status and deprive him of the freedom to think and act? Or are passions an energy in the human structure that does not recognize limits or logic and allows a person to transcend his psychological, mental, and social limits?

Keywords: passions ,Kant , reason , desire ,illness ,energy.

1. مقدمة:

كشفت الأبحاث التي أجرتها مختلف الدراسات الإنسانية على مدى التاريخ كيف أن الأبعاد الأساسية للوجود الإنساني - سواء ما تعلق منها بالبعد العقلائي أو البعد الوجداني الإنفعالي أو البعد الجسدي العضوي - كانت ولا زالت دائماً على المحك من خلال تشریح هذه الأبعاد و الكشف عن مدى تأثيرها و تأثرها ببعضها البعض في محاولة لفهم حقيقة الإنسان . ومن هذه الدراسات كان موضوع الهوى و الأهواء .

لقد شهدت اطروحات الفلاسفة حول الاهواء العديد من التغييرات على مر الزمن تراوحت بين مؤيد ورافض لها . وإذا استدعينا تاريخ الفلسفة لتسليط الضوء على مواقف هؤلاء حول الهوى فمن اجل الوقوف عند الزوايا المختلفة التي تناولت هذا الموضوع ، و شكلت بأطروحاتها تاريخاً لهذه المفهوم على غرار ما يسميه نيتشه، " بفقه اللغة أو "philologique" . و الذي يكشف لنا أن فحص الماضي أقرب إلى سلسلة من المشاكل التي تتبع بعضها البعض وفقاً لمنطقها الخاص، وليس قائمة من الحلول التي قد يكون من المناسب الدفاع عنها.

فمن أين يأتي السؤال وكيف تمت صياغته؟ ما هي الحجج التي شكلت الخلفية لهذه الأطروحات ؟

فهل الصراع بين العقل والأهواء لا يمكن التغلب عليه؟ وهل يجب أن نتخلص من الاهواء لضمان سيادة العقل؟

مثلما يتضح ذلك في اطروحة كانط عن الهوى و التي تندرج في الخط العقلائي لتاريخ الفلسفة الذي يمتد من سقراط إلى المذاهب العقلائية الحديثة و المعاصرة و التي تؤكد على البعد

العقلائي في الإنسان و تُسقط الأهواء من التركيبة الإنسانية لأن الخضوع لها ينقل الإنسان من مرتبته العاقلة الواعية إلى المرتبة الحيوانية العريضة . و تأتي هذه الورقة البحثية لتفكيك هذه المعضلة الفلسفية و مساءلة المقاربة الكانطية مسائلة تحليلية نقدية .

فإلى أي حد يمكن تبني المقاربة العقلية للوجود الإنساني مثلما قدمها كانط ؟ وهل الأهواء تنزل الإنسان من مرتبته وتفقد حرة التفكير و التصرف ؟ ام أن الاهواء طاقة في التركيبة الإنسانية لا تعترف بالحدود و لا بالمنطق و تسمح للإنسان بتجاوز حدوده النفسية - العقلية - الاجتماعية من خلال ابداعاته و بطولاته ؟

1-مقاربة إيتيمولوجية في مفهوم الهوى : الهوى في اللغة العربية هو : الميل، والعشق، وميل النفس الى الشهوة، يقال: فلا يتبع هواه، اذا أريد ذمه، وفلان من أهل الأهواء، اي ممن زاغ عن طريق الحق¹.

وفي اللغة الفرنسية passion المأجودة من الكلمة اللاتينية patior " و التي بدورها تأتي من الكلمة اليونانية " pathos والتي تعني المرض و المعاناة . فيكون الفرد في حالة من السلبية و هو يتحمل الآلام و يعاني . و بذلك يكون الهوى كإنفعال مناقض للفعل و العمل. فالهوى يشير إلى جميع الحالات الإنفعالية التي تمر بها النفس و تخضع لها من دون اختيار ، وذلك أساساً بسبب ارتباطها بالجسد. الأهواء لها مصادرها في الجسد (في الدوافع...) ولهذا السبب تم رفضها

¹ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية . مكتبة الشروق الدولية

صَادَ عن الخير، اما المتأخرون فانهم يفرقون بين الهوى العالي، كحب العلم، والهوى الخسيس، كالبلخ، والهوى المتوسط كالعشق. ولكن جميع هذه الأهواء تشترك عندهم في صفات واحدة، وهي جمع عناصر النفس، وتأليفها، وتوحيدها، وتوجيهها الى هدف واحد، لأن الهوى يغير نظام الميول الطبيعي، ويرتب الأشياء ترتيباً جديداً.

2 -مقاربة تاريخية في علاقة العقل بالأهواء
عرف تاريخ الفلسفة رؤيتين متناقضتين للهوى في الأدب الفلسفي (روني، 1990). الأولى ذات بعد عقلي يستبعد ويسقط كل ما لا يخضع لسيطرة العقل و المنطق و بالتالي كانت الاهواء في تصرهم مناقضة للعقل و يجب محاربتها. و الثانية ذات نزوع رومانسي يعلي من شأن العواطف و الأهواء ، بل يجعلها الأصل في الوجود الإنساني .

ففي الفكر الصيني القديم يرتبط مفهوم الهوى بمبدأ "الين" و الذي يرمز إلى كل ما هو مؤنث المرتبطة هي الأخيرة بفكرة "الإيروس" "العشق و ما يحيل إليه من مفاهيم الأرض - الجسد - الحياة - الخضوع . في مقابل مبدأ "اليانج" و الذي يرمز إلى كل ماهو مذكر و الذي يرتبط هو الآخر باللوغوس وما يتضمنه من معاني العقل - القوة- الذكاء- الانجاز - المنطق و الصلابة

بالنسبة لليونانيين، الاهواء تتعارض مع العقل مثل المفرد للكلي . لم يكن اليونانيون يحبون العواطف، وهم الذين فعلوا الكثير من أجل العقل، من الناحية التاريخية، كان يُعتقد في البداية أن الهوى لها أصولها في العالم الخارجي للآلهة . حيث يظهر الرجل الخاضع للهوى في الأساطير اليونانية كلعبة أو ضحية لقوى متعالية

من قبل الدين والزهد (الفلسفة التي بموجبها يجب على المرء أن يعيش دون أي متعة، والتي تتعارض مع مذهب المتعة الذي تعتبر المتعة هي المتعة). قيمة عليا، علينا أن نعمل بهدف الحصول على المتعة: أبيقور).

والهوى في اصطلاح علم النفس ميل النفس الشديد الى ما تحب وتشتهي محمودا كان او مذموما، وهو مصحوب بحالات انفعالية، وصور عقلية مختلفة، ولا يختلف عن الميل البسيط الا بالمدة، والشدة، والصولة، والسلطان، والغيرة، فالعشق مثلا هوى لأنه ميل شديد، يسولي على النفس، ويمنعها من الاهتمام بغير المعشوق، وهو متصف بالغيرة، وله سلطان على العقل، وكذلك الميل الى شرب الخمر، فانه لا يصبح هوى، الا اذا اشتد، واستولى على النفس. وصار شغلا شاعلا. كما عرفه لالاند "ميول لمدة معينة قوية بما يكفي للسيطرة على حياة العقل"²

فالهوى فكرة عاطفية ثابتة تؤدي إلى الهوس الأحادي، الذي غالباً ما يكون مدمراً للشخصية. وبالتالي فإن العاطفة، وهي عاطفة دائمة، متناقضة بشكل عميق - أحياناً تكون إبداعية وسعيدة، وأحياناً مدمرة وغير سعيدة.³ لقد كان القدماء يطلقون لفظ الهوى على «ميل النفس الى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع»⁴ ولذلك كانوا يذمون الهوى ويقولون انه

² Andre Lalande vocabulaire technique et critique de la philosophie Quadriga PUF volume 2 1993 p 745

³ Philosophie magazine

<https://www.philomag.com/archives>

⁴ أبو البقاء الكافوري كليات أبي البقاء مؤسسة الرسالة ناشرون

المأساة الراسينية.⁶ ومع ذلك، فإن نسبة أصل عواطفنا إلى الآلهة تفترض وجود الآلهة. إنها مسألة إيمان وإيمان خاص جدًا لأنه في الآلهة التي لا تترك مجالاً للحرية.

انتقد أفلاطون بالفعل هذا المفهوم. فقال نحن لسنا ألعاب في يد الآلهة. بل لدينا الاختيار بين العاطفة والعقل. ولكن، حتى وإن لم تكن لعبة للآلهة، فمن الممكن دائمًا أن نكون لعبة للقوى الخارجية، على سبيل المثال الطبيعة. لكن الهوى قبل كل شيء قضية عامة وسياسية. يضع أفلاطون، مثل أرسطو، الفلسفة في جانب العقل، وفي جانب السيطرة على العقل. وهذا يطرح مشكلة على الفور لأن العاطفة غالبًا ما تكون عكس العقل، ويُنظر إليها على أنها معاناة (أيضًا من خلال أصلها). ولكن لا يزال يتعين علينا إضافة السؤال المعجى.

إذا كان الهوى يأتي من كلمة *patior* في اللاتينية، يعاني، ويمكننا أيضًا أن نجد أصله *pathos* رثاء، عاطفة في اليونانية. وهذا يطرح مشاكل على الفور. يرى أفلاطون في محاورة *Phèdre* فايدروس أن الروح مثل فريق لا ينسجم سائقه مع خيوله، فمن جهة الرجل الذي يبحث عن الحكمة، ومن جهة أخرى الخيول، قلب الإنسان، ومقر الشجاعة (و) في هذا الحوار على الأقل (القل) الرغبة في الإلهية (وبالتالي الحكمة أيضًا)، ومن ناحية أخرى الرغبة في الملذات الأرضية.⁷ في مكان آخر، على سبيل المثال في الجمهورية أو في القوانين، سيقترح أفلاطون أن المشرع الجيد سيعرف حتى كيفيه برمجة هذه المشاعر نفسها

(أي متفوقة وخارجية عنه). إنه القدر (أي المصير الذي لا يستطيع أحد أن يقاومه) أو الآلهة التي تودع أهواء غير مفهومة في قلوب البشر.⁵

وفي الأساطير اليونانية البدائية جاء أن الأهواء هي اضطراب تضعه الآلهة في قلوب البشر، إنها نوع من امتلاك الإنسان بقوة تتجاوزه ". حيث يصبح الإنسان في هذه الحالة هو الضحية فيعاني باعتباره لعبة لقوى متعالية لا يستطيع معارضتها. ومن هذا المنظور، فإن الهوى ليست مجرد أمر لا إرادي. تتلاعب الآلهة بقلوب البشر، وتصرفاتهم تفسر الطبيعة المفرطة للعواطف. لكن الرغبة في السيطرة على ما هو خارج عنا، وما يتحكم فينا، هي رغبة متعجرفة، الإفراط فيها أمر يستحق اللوم. إن مثل هذه الرغبة ليست مستحيلة، لكنها غير مشروعة ومحكوم عليها بالفشل. إنه ليس مستحيلًا بمعنى أن الإنسان قادر على أن يريده، ولكنه غير شرعي لأنه من التدنيس أن ترغب في مخالفة الآلهة.

هذا ما يعيشه البطل المأساوي. يريد أن يتصرف لكنه لا يستطيع. فأوديب، على سبيل المثال، يفعل كل شيء للهروب من قدره ويفشل وليس له علاقة بالأمر: لقد أرادته الآلهة بهذه الطريقة. ومن الواضح أنه في نظرنا على الأقل (وليس في نظر اليونانيين الذين لا يرون المسؤولية في النية بل في الفعل) أوديب غير مذنب وله أعذار.

يكتب جان بيير فيرنانت *Jean-Pierre Vernant* عن موضوع البطل التراجيدي: "على الرغم من أن الإنسان يبدو وكأنه يأخذ مبادرة أفعاله، ويتوقع العواقب، ويتحمل المسؤوليات، ألا يكون لها، خارجه، أصلها الحقيقي؟ سنجد هذه الفكرة في

راجع فيدر: "إن الزهرة مرتبطة تمامًا بفرسيتها"⁶

⁷ أفلاطون محاورة فيدر وس ترجمة اميرة حلي مطر دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع 2000 ص 40

⁵ راجع جان برون *Jean Brun* Cf. (الرواقية):

عدوًا خالصًا وبسيطًا، لأنها تتناقض مع الأتاراكسيا التي يبحثون عنها، وبعبارة أخرى سلام الروح، الذي لا يجب إزعاجه أبدًا. الأبيقوريون أقل تطرفًا، وإذا كان أبيقور نفسه يتحدث عنهم قليلًا (أيضًا لأننا فقدنا معظم كتاباته)، فهو ليس معاديا لهم ويعتقد أن الأمر يتعلق فقط بمعرفة كيفية القيام بذلك. معظم فلسفته مشتركة بين الميتافيزيقا الذرية والفكرة العامة القائلة بأن السعادة تأتي من حساب الراحة والاقتصاد، فالمشاعر هي ببساطة حقيقة، ليس لها دور رئيسي، حتى لو كانت الأبيقورية مذهب المتعة، البحث عن السعادة عن طريق المتعة. (يجب أن نتذكر، مع ذلك، أن تعريف المتعة هو غياب الألم، وأنه لا يوجد أبدًا أي سؤال حول المتعة). وفي الفلسفة المسيحية ترتبط الأهواء بالخطيئة أو ضعف الإنسان، أو بآلام المسيح والشهداء. ويكفي أن نلقي نظرة على الكتاب المقدس ونقرأ هوى المسيح لنقتنع بشكل قاطع بهذا المعنى الأكثر قتامة من المعنى الذي نعطيه الآن لهذا المصطلح. على أية حال، نحن لا نبتعد إلا قليلًا عن النماذج اليونانية الرومانية. سيتحدث القديس توما عنه بطريقة أرسطو إلى حد ما في كتابه *Summa Theologiae (Secunda Pars)*، مشيرًا على سبيل المثال إلى أن الغضب يمكن أن يكون مبررًا وجيدًا عندما يكون عادلاً، أو أنه يمكن للمرء أن يفعل الخطأ دون التفكير في الخطأ، على العكس من ذلك يرغب في ذلك. جيد. وفي جميع الأحوال فإن العقل، والحكمة له الأولوية في الفكر.

وفي العصر الحديث نكتشف تعريفًا جديدًا للأهواء بفضل ديكرات وأطروحاته في انفعالات النفس. وإذا خالف بشكل جذري الأحكام

لتحويلها إلى فضائل (العدالة، والصدقة، والصدق) وبالتالي خلق مجتمع متجانس. فحال المدينة، مثل الجسم الذي يكون في صحة جيدة.

لكن على العكس من ذلك، في محاورة جورجياس، نلتقي كاليكليس الذي، مدفوعًا فقط بمشاعره الأنانية (المهنة، الطموح)، و التي تمثل سرطان المجتمع بأكمله لأنه يقاوم العقل تمامًا ولذلك لن نجد عند أفلاطون أداة للتفكير في الأهواء.

وعند أرسطو، وجاء تعريف الهوى وفقا لمقولاته باعتباره إحدى مقولاته وهي مقولة الانفعال، وكان الهوى مصدر من جانبه، أكثر اعتدالًا. وإذا حكم عليها بأنها قادرة على معارضة العقل، فهو ليس معاديًا له، فالعواطف قادرة على أن تكون عادلة حتى لو كانت مفرطة (يشرح في الأخلاق النيقوماخية *Nicomache* أن الغضب يمكن أن يأتي من مشاهدة الظلم). إلا أن الكتاب السابع يبين بوضوح أهمية الاعتدال، وضبط النفس، والبحث الدائم عن المدى المتوسط، والبيئة المتوازنة. كما يرى في شعره أن المأساة تعمل على جعل الناس يشعرون بمشاعر مخزية من أجل تطهير أنفسهم منها. وأخيرًا، يعترف أرسطو، في كتابه البلاغة *Rhetorique*، أنه يمكن استخدام المشاعر لإقناع الجمهور. ومع ذلك، لا يتم التفكير في أي شيء هنا في حد ذاته، بل فقط كمشكلة أو وسيلة لتحقيق غاية. باختصار، أرسطو نفسه يقف إلى جانب العقل، والحساب المتوسط للتوازن.

والهوى مصدر الاضطراب للأبيقوريين، وخاصة الرواقيين، الذين يدينونها بشكل منهجي لأنها تصرف انتباهنا عن واجباتنا الطبيعية دعونا لا نتحدث عن الرواقيين، الذين تعتبر العواطف

الهوى على هذا النحو، لا يخلو من الخطأ لاشتماله على ظواهر انفعالية متباينة، فلنقتصر إذن على القول ان الهوى ميل شديد يستولي على النفس، ويسيطر على جميع ميولها، ويوجهها الى غاية واحدة⁹. فالهوى في النفس هو ما يتلاعب بها، ليحيدها عن جادة الصواب ويقذف بها إلى أسفل.

علاوة على ذلك، في رسالته إلى موريوس، يعطينا رؤية إضافية لما يفكر فيه حول الأحاسيس والمشاعر، موضحاً موقفه من مكانة الحيوانات: إنها مجردة من العقل لأنها خالية من اللغة، وليس الكلام، لأنها في نهاية المطاف مجردة من العقل. صرخاتهم هي صوت، لكنهم لا يستخدمون صوته للتعبير عن شيء يتعلق بالفكر الخالص، مثل الرياضيات (شغف ديكارت الكبير). ويضيف أنه لا ينكر علمهم الحياة لأن هذا ببساطة هو «دفع القلب»، ولا الأحاسيس لأن هذا مجرد عمل عضو.

ويقدم ديفيد هيوم، من جانبه، رؤية للاهواء أقرب إلى فهمنا، وهي الميول. لكنه في الواقع يختزلها إلى أنواع من الدوافع: المشاعر الهائلة والعنيفة. إنها مجرد مسألة معرفة ما تتجه إليه شهواتنا ويذهب إلى بعض التطرف، في الحقيقة، قبل كل شيء، ليشرح إلى أي مدى يكون مصطلح "العقل" في الواقع واسعاً ونسبياً، كما هو الحال. الاقتباس الشهير من كتابه «التحقيق في الفهم الإنساني»: «ليس مخالفاً للعقل أن أفضل تدمير العالم كله على خدش إصبعي». وبالتالي فإن العواطف تتعلق في المقام الأول بالرغبة الشخصية في البقاء والمحافظة. في الواقع، من

الكلاسيكية، فإن تعريفه يختزلها إلى "غرائز حيوانية" يفسرها الدماغ عبر الغدة النخامية. لذلك فإن الأمر هنا يتعلق بالدوافع العصبية، وهو بذلك يكتب الحدس الذي تناوله علماء الأخلاق وعلماء السلوك في وقت لاحق: الجسم عبارة عن آلة تتفاعل مع المنبهات. يقترح أنه يمكن استبدال العاطفة المهووسة بشغف أقوى على سبيل المثال، ينذر العلاج السلوكي المعرفي بالتوقف عن التدخين أو عمل بافلوف على التكيف.

حاول ديكارت توضيح آليات العواطف دون اللجوء إلى بعض السمو الإلهي. الأهواء بالمعنى الواسع (العواطف، المشاعر) هي نتيجة اتحاد النفس والجسد، هاتين المادتين اللتين تتكون منهما. ومن ثم فإن أصول العاطفة هي عمل الجسد الذي يؤدي إلى سلبية الروح. هذا، الذي يتصرف به الجسم، يبدو كما لو أن النبضات الجسدية تطغى عليه. في رسالة اهواء النفس، الجزء الأول، المادة 40، كتب ديكارت: "إن التأثير الرئيسي لجميع انفعالات البشر هو أنها تعرض أرواحهم وتهبها للرغبة في الأشياء التي تعد أجسادهم لها؛ أن الشعور بالخوف يدفعه إلى الرغبة في الهروب، والجرأة إلى الرغبة في القتال، وهكذا لدى الآخرين. وهكذا فإن روح العاشق هي كالبعيد لجسده، ويجب أن يقول إن الهوى عذر⁸ وقد تم تحليل الهوى ميكانيكياً من قبل ديكارت: حيث يتم إنتاجها من قبل "الأرواح الحيوانية" (أجزاء الدم الدقيقة) التي تمر إلى الدماغ وجعل الجسم يؤثر على الروح. ويعتبر خيراً ما دام يرئى النفس لرغبة ما ينفعها. ولكن توسيع معنى

⁹ المعجم الفلسفي جميل صليبا المجلد الثاني الناشر الشركة العالمية للكتاب - بيروت تاريخ الطبع 1414 هـ - 1994 م

⁸ ديكارت: انفعالات النفس رسالة في اهواء النفس ترجمة جورج زيناتي الجزء الأول المادة 40 درا المنخب العربي للدراسات و النشر

و قد شكلت هذه الخلفية التاريخية في تصور الالهواء الاطروحة الكانطية حيث عارض البعض منها و تشرب من الاخرى . فكيف تشكلت اطروحة كانط حول الالهواء . و مامدى امتداداتها الفلسفية ؟

3-المقاربة الكانطية للهوى " الأهواء مرض يصيب الروح "

إن أطروحة كانط (1724-1804)، على الهوى جزء من التقليد الفلسفي الذي يرى أن الإنسان روح وجسد مختلفان. النفس أو الروح هي العقل والإرادة والجسد هو أداها. تندرج المقاربة الكانطية ضمن التيار العقلاني الذي يحيلنا إلى الفكر الإغريقي -

يلاحظ كانط، في تحليله للهوى هي شعور حصري ومنتشر كاسح . إنه التعلق الذي يزج الموضوع ويعطل تقديره للعالم والأشياء. في الواقع، إن العاطفة تولد أولاً من رغبة دقيقة، تتطور وتديم، وتتصح هائلة وتحل محل جميع الرغبات الأخرى. وهذا هو حال المدمن على الكحول والمخدرات، الذي يبدأ أولاً بتناول كمية صغيرة من المخدر، مما يؤدي فيما بعد إلى الإدمان، إلى درجة أنه يضطر إلى زيادة الجرعة.

أن "العاطفة تسبب ضرراً مؤقتاً للحرية والتحكم في النفس" في حين أن "الهوى تتجاهلها وتجذب لذة ورضا في العبودية" و"بينما لا يرتاح العقل هذه المرة في دعوته إلى الحرية الداخلية، تهدت مؤسفة في أغلالها التي لا تستطيع تحرير نفسها منها؛ ومن الآن فصاعداً تم تطعيمها بطريقة ما في أعضائها"¹⁰

¹⁰ كانط أنثروبولوجيا وجهة النظر البراغماتية، ترجمة فتحي انقوزا دار

نشر مكتبة صوفيا 2021، III، (81)

الصعب التفكير في العاطفة بخلاف فئة الدوافع التي سنواجه من خلالها ميولاً عنيفة (الخوف، والاشمئزاز) أو الهدوء (الرغبة في الروتين، والوضع الراهن، والراحة)

نجد فكرة مماثلة عند سبينوزا، الذي يفرق بين المشاعر الحزينة (الغيرة، الغضب، الحسد) والعواطف المبهجة. تنشأ المشاعر الحزينة من عدم الملاءمة بيني وبين الأجساد الأخرى (بالمعنى الواسع للكلمة)، على عكس المشاعر المبهجة (التي تشمل أيضاً المعرفة وبالتالي الفلسفة). هذه المشاعر هي جزء من درجات المعرفة، والعواطف المبهجة تسمح لي بزيادة قدرتي على الفعل لأنها توفر الرضا. ومع ذلك، كما جرت العادة في الفلسفة، فهو شيء يعاني؛ علاوة على ذلك، عند سبينوزا، نحن لا نملك قوتنا للتصرف (تذكر أن سبينوزا حتمياً بشدة، مثل الرواقيين. وبالتالي، فإننا لسنا أسياداً في حد ذاتها أبداً). على سبيل المثال، يوضح في رسالته إلى شولر أن الحرية ليست القدرة على الفعل، بل هي معرفة الأسباب والنتائج، وبالتالي فإن الله حر، على الرغم من أنه ضروري ومحدد في طبيعته (إنها الطبيعة نفسها، يجب أن نفهمها). هنا كوجود في ذاته، كونه كائناً ومحرراً أولاً غير متحرك يجعل كل شيء آخر موجوداً)، لأنه موجود ويعمل وفقاً له دون أن يسعى لمعارضته. على العكس من ذلك، فإن الكائنات المخلوقة، مثلنا، أو، في هذه الرسالة، الحجر المتدرج، تتخيل أن أفعالها ووجودها يأتي من جهودها المباشرة. وهنا يكمن وهم الفهم المشترك للحرية: أن الحجر يقول لنفسه "ماذا لو دحرجت؟" نعم، في أعماقي، أنا من يركب الدراجة لأنني أريد ذلك، بدلاً من الاعتراف بأنها تركب لأنها مصممة بهذه الطريقة..

يفكر في تحقيق هدفه. تعمل العاطفة مثل الماء الذي يكسر السد، والعاطفة مثل التيار الذي يحفر أعمق في سريره. ويمكننا تتبع استنتاجات كانط، حول اللاهواء في كتابه الأنثروبولوجيا من وجهة نظر عملية باعتبارها مرض للروح فيما يلي

(التعريف الأول (73§): يتم تعريف اللاهواء بأنها معارضة للعقل النسبة لكانط، فإن العاطفة و/أو العاطفة تتعارض مع العقل، وتُفهم بالمعنى الغامض لملكة الحكم والتأمل. وهكذا يقول إن "الميل (الرغبة المعتادة) الذي لا يستطيع عقل الذات التحكم فيه أو فقط ويحققه بصعوبة هو الهوى. العاطفة هي شعور بالمتعة/الاستياء الحالي الذي لا يسمح للذات بالوصول إلى التفكير". كل ما هو من مرتبة العاطفي، من الحساسية، اللاهواء مثل الانفعالات، يتميز بالثورة التي تمنع أي تفكير، أي ممارسة عادية للعقل: "إن الخضوع للعواطف واللاهواء هو دائما مرض الروح، لأن كلاهما يستبعد سيادة العقل. إنه خلل عنيف في التوازن، مثل الارتجاج، مما يعني أننا لم نعد ننتهي لبعضنا البعض.

الفروق المفاهيمية: العاطفة، والهوى ، والشعور (74§). ولكن ماذا نعني بالعاطفة والعاطفة؟ هل هو الشيء ذاته؟

وفي العاطفة يفقد العقل المتفاجئ بالانطباع السيطرة على نفسه. إنه يحدث على عجل: أي أنه ينمو بسرعة إلى درجة الشعور التي تجعل التفكير مستحيلا (وهو أمر متهور). إن غياب العاطفة، الذي لا يقلل من قوة الفعل المتحركة، هو سمة البالغ، بالمعنى المناسب

وكما يقول كانط، فإن العاطفة تشبه المرض لأن الجسد يهيمن على الروح: "إن الخضوع للعواطف واللاهواء هو دائما مرض للروح، لأن كلاهما يستبعد سيادة العقل"¹¹.

كانط لن يقول أي شيء آخر. إذا كانت العاطفة مرضًا يبدو أنه يقضي على إرادتنا، قد يسيطر الهوى على العقل والحس والإرادة، ويدفع بالإنسان إلى ما لا تحمد عقباه. ولعل أهم الآثار التي تنشأ عن الهوى في النفس أنه يشوش نظام الميول الطبيعي، بحيث يؤدي إلى فقدان الاعتدال والتوازن في حياة الإنسان، وذلك نتيجة للإخلال بتوازن الميول واتساقها الطبيعي، وتسخير جميع النزعات الأخرى وتوجيهها نحو هدف محدد. وقد دعا هذا الإخلال بنظام الميول الطبيعي كثيرًا من المفكرين إلى ذم الهوى، لشدة تأثيره في النفس، وتغيير مجرى حركتها الطبيعية، أو الاعتيادية، فإن الإنسان بطبيعته الحرة يستطيع، إذا أراد، التغلب على هذا الخضوع. نحن بشر وبالتالي أحرار. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن هذه التحليلات تفترض وعيًا واضحًا بذاتها، وحرية الذات التي تعرف نفسها وتتظاهر بأنها لم تعد واعية تحت تأثير العاطفة. لاحظ كانط أن الروح في العاطفة ليست سلبية تمامًا. سوف "تفكر" في العاطفة، وترشيدها، وتبريرها. ومن المؤكد أن النفس تسيء الظن بالهوى، وتعقله بطريقة شاذة. "يجب اعتبار الهوى بمثابة هذيان مشتعل، وهو تمثيل يتجذر بشكل أعمق من أي وقت مضى" ويكتب أيضًا: "في الهوى يفقد العقل المتفاجئ بالانطباع السيطرة على نفسه. يتكشف بسرعة (...). العاطفة، على العكس من ذلك." "يمنح نفسه الوقت، وعلى الرغم من قوته، فإنه

¹¹ المصدر ذاته (الأنثروبولوجيا من وجهة نظر براغماتية، § 73)

للكلمة: صفة تسمح للرجل الشجاع ألا يفقد، تحت تأثير العواطف، هدوءه. انعكاس. ما لا تفعله عاطفة الغضب في عجلة من أمرها، لن تفعله أبداً؛ لديها ذاكرة قصيرة. على العكس من ذلك، فإن شغف الكراهية يأخذ وقته ليترسخ بعمق ويفكر في الخصم. يمكن للأب أو مدير المدرسة أن يمتنع عن العقاب إذا كان لديهم الصبر لسماع الناس يطلبون المغفرة (وعدم تقديم تبرير).¹²

الهوى باعتبارها انحرافاً للعقل:

وهكذا يستخدم المتحمس التفكير، ولكن بمعنى يتعارض مع الممارسة الطبيعية للعقل (الفقرة 81). إنه لا يفكر بشكل طبيعي مثل الرجل المتوازن، بل أكثر من ذلك بكثير.

(1) تتعارض الأهواء مع العقل بمعناه النظري يُعتقد عمومًا أن المتحمس ينتهك ويتناقض مع القواعد الأولية للمنطق، تلك القواعد التي يمكن لأي رجل يتمتع بالفطرة السليمة، الذي يمتلك كل عقله، أن يمارسها. ستكون المشكلة أنه، في الوقت نفسه، يستخدم المتحمس هذه القواعد، ولكن بطريقة عكسية...

(أ) خصائص العقلانية (أو القواعد الأولية للمنطق):

المنطق والتماسك والشعور بالواقع... أمثلة:
(1) إذا لم يكن الشيء هو، فإنه لا يمكن أن يكون في نفس الوقت ليس (وهذا هو مبدأ التناقض، أو الهوية)
(2) إذا رأيت شيئاً ما، فلا أستطيع أن

أرى/أصدق عكس ما أرى
(3) أنا لا أعتبر رغباتي حقيقة (أعرف كيف أفرق بينها): ليس لأنني أريد أن تحبني النساء، فهم يحبونني حقاً
(4) لا تصدق شيئاً غير محتمل: مثلاً أن هناك وصفة سحرية تجعل النساء يحبونك
(5) لا تضع الاستنتاج كنقطة انطلاق للاستدلال أو البرهان: إذا كنا منطقيين، نبدأ من فكرة ونسعى لمعرفة ما إذا كانت تؤكدها الحقائق

(ب) دعونا نرى الآن كيف ينتهك الهوى المتحمس القواعد الأولية للمنطق، ويستخدم العقل بشكل خاطئ ومنحرف. فلنقرأ نص ستندال الشهير عن التبلور (في الحب)، لنرى كيف يتصرف من يقع في حب شخص آخر

(1) أولاً، نرى في هذا النص أنه لا يوجد أي تفكير في الأساس (على الأقل الشخص العاطفي لا يستخدم المنطق بعد): العاطفة (في هذه الحالة الحب المجنون) تبدأ بوهم يكون عفويًا إلى حد ما، فوراً.

ونرى هنا أن الشخص العاطفي يفعل عكس من يستخدم عقله: فهو في الحقيقة يبحث في الأشياء أو الكائنات أو الأشخاص عن علامات هواه: أي يبدأ من فكرته الوسواسية، وكل الأشياء تذهب إلى تكون، من هناك، علامات صحة هواه.

لذلك يُسقط المحب سمات معينة على حبيبته، دون التشكيك في التجربة: يتم طرح الاستنتاج في البداية؛ فقدان الإحساس بالواقع، وما إلى ذلك.

يتم تأكيد الهوى قليلاً (الهوى هي فكرة قلبية،

¹²كانط، الأثر وولوجيا من وجهة نظر براغماتية، 748، العاطفة كمرض للروح ترجمة فتحي انقوزا دار نشر مكتبة صوفيا 2021 ص 90

ناجمة عن التبلور، وعندها فقط يدعمها التعليل الدائري الذي يؤكد أنها دون تعارض محتمل؛ راجع التبلوريتين: (1) نسعى في الأشياء وكونها علامات استجابات مسبقة (2) إذا فشلنا في ذلك، فإننا نخلق عقبات أمام هذه الاستجابات، والتي نهدف بالطبع إلى التغلب عليها، بحيث يتم تأكيد وتعزيز الفكرة والشغف الأولي.

يقال أن العواطف لها منطق معين بطريقتها الخاصة، منطق "المشاعر": يجب اعتبار العاطفة بمثابة هذيان مشتعل في تمثيل يتجذر بشكل أعمق من أي وقت مضى. ومن ثم، فإن القول بأن الإنسان "حيوان عاقل" لا يعني القول بأن الإنسان حيوان مجهز بالعقل أو العقل، ولكن القول، بطريقة ما، إن اللغة الفلسفية تقود إلى تمييز حساسية والعقل في الإنسان. سبب - والتقسيم المعروف للروح (Gemüt) والمعرفة إلى "ملكات" أو قوى (Vermögen) ليس في حد ذاته ميتافيزيقياً (وجودياً) ولكنه "موضوعي". وفي إطار هذا الانعكاس النقدي للتقليد الفلسفي، أو إعادة نشر اللغة الفلسفية على نفسها، يقترح كانط التمييز جذرياً بين المشاعر واللاهواء، وبالتالي يحدد، وإن كان ضمنيًا، أولى منهجيات المعالجة الفلسفية للعاطفة - قبل ذلك. ظهر المصطلح الغائب عن عمله.

وفي مسألة على "الملاحظة العامة" المتعلقة بالفقرة 29 من نقد ملكة الحكم، كتب: "إن التأثيرات تختلف بشكل خاص عن الأهواء (Leidenschaften) الأولى يرتبط ببساطة بالشعور؛ والأخيرة تنتهي إلى ملكة الرغبة، وهي ميول تجعل تحديد الإرادة الحرة بالمبادئ أمراً

صعباً أو مستحيلًا. هذه هي عاصفة وطائشة، وهي دائمة ومدروسة: وبالتالي فإن السخط باعتباره غضباً هو تأثير؛ لكن الكراهية (التعطش للانتقام) هي عاطفة. هذا لا يمكن أن يُسعى أبداً أو بأي حال من الأحوال سامياً؛ لأنه إذا تم إعاقة حرية الروح (Gemüt) فعلياً، فإنها يتم قمعها في العاطفة. ¹³ «هذا التمييز يردد صدى الأنثروبولوجيا. وما يميزهم هو علاقتهم بالزمن، وعلاقتهم بالعقل، وبالتالي بالشعور بالجليل - الذي يتوافق مع تأثير الجليل. في حين أن التأثير عابر مثل مرور الوقت، وهذا يجعله مناسباً للدخول في إضفاء الطابع الزمني على مخطط الخيال - ويمكن القول أيضاً، بحكم طابعه غير التأملية - فإن العواطف تدوم، "لأنها تستخدم من أجل يستفيدون من النظام والاستقرار الذي يجلبه العقل، ويحتلون أيضاً، بطريقة ما، ملكة الرغبة" (ف. مارتى). (F. Marty).

بطريقة ما، تصلب اللاهواء عن طريق انحراف العقل، مما يجعلها نوعاً من "المرض المزمن"، بما يتناسب مع علمهم السري وغدرهم ونفاقهم - ولا يسعنا إلا أن نفكر هنا في المفهوم الفرويدي لـ "علم الأمراض النفسية". في الأنثروبولوجيا، تأتي اللاهواء بالمعنى الدقيق للكلمة من الثقافة، وترتبط "بعناد مبدأ مؤسس بهدف تحقيق غاية محددة": فهي تعني

¹³ كانط: نقد ملكة الحكم ترجمة غانم هنا المنظمة العربية للترجمة توزع مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى 2005 ص 120

العاطفة. . حتى الآن كل شيء يشير إلى أن كانط كان على حق! إلاَّ أنَّ الأمر متروك للجميع للإجابة على هذا السؤال قبل القول بأن كانط على حق أم على خطأ!

4-حدود الطرح الكانطي حول الاهواء : لكن ما فشل كانط في رؤيته هو أنه ربما يكون سبب العاطفة متجذراً في اللاوعي. وفقاً لفرويد، يمكن فهم سلوك الرجل العاطفي على أنه أعراض، لا يمكن للوعي فهمها، لقوى غير واعية حدث تنظيمها الخاص خلال مرحلة الطفولة المبكرة. إن عواطف طفولتنا تحكم حياتنا والهدف من عواطفنا هو إعادة اكتشافها. على سبيل المثال، دون جوان متأكد تماماً من أنه ليس محبوباً لدرجة أنه يغوي دائماً ويرفض دائماً الإيمان بالحب الذي يشعر به تجاهه. ولا يستطيع الحاضر أن يقدم له الدليل الذي يسعى عبثاً إلى شفاء جرحه القديم. إذا كان كانط يرى الهوى فقط باعتبارها مرضاً للروح، فإن فلسفة القرن التاسع عشر تميل إلى تهمينها: فالرومانسيون يمجّدونها لأنهم يرونها كتجلى متطرف لحساسية القلب. ويفسرها هيغل بطريقة نفعية: فهي بالنسبة له "خدعة العقل" (على سبيل المثال، يجلب نابليون، المتحمس لمجده، المُثل الثورية إلى أوروبا). بالنسبة للطوباوي فورييه، يجب إلغاء قمع العواطف لصالح تنظيمها الاجتماعي لأن "السعادة الحقيقية تكمن فقط في إشباع المرء لعواطفه". و بالنسبة لنييتشه، تظهر المشاعر الإيجابية (مثل الصحة والحب الجنسي) إرادة القوة لدى الإنسان المتحرر من القيم الميتافيزيقية.

بالتالي أن العقل مستعبد . ومنحرف على هذا النحو. وأن النهاية المحددة قد أخذت. ل[...]¹⁴ . فكانت الاهواء عند كانط "مرض الروح". وبالتالي فإن الشخص العاطفي لم يعد حراً في أفعاله، لأنه مهووس بالموضوع الذي يحبه، ويعاني منه. ولذلك تضعف إرادته ، بمعنى أن العاطفة لها الأسبقية على الرغبات الأخرى، ومن هنا فكرة مالابرت Malaper (1581-1630): "الهوى هي ميل مبالغ فيه، وخاصة يستقر في البقايا، ويجعل من نفسه محور كل شيء". فيخضع الميول الأخرى ويجرها في أعقابها. و تحجب الحكم وتمنع الوصول إلى الحقائق. وهذا ما يفسر لماذا اتفق الفلاسفة لعدة قرون على إخضاع مرض الروح هذا لمحاكمة قاسية. في العصور القديمة، وضعه الرواقيون على أنه عدو للحكمة. ومن جانبه، عرفها أفلاطون بأنها قوة قادرة على تجريد العقل من دوره كسيد السلوك. وأخيراً، استنكرها ديكارت وكانط و سبينوزا لأنهم رأوا فيها عقبة أمام حرية الإنسان: "أنا أسمى شيئاً حراً، وهو شيء موجود ويعمل وفقاً للضرورة الوحيدة لطبيعته، ويقيد ما يقرره آخر في الوجود و" التصرف بطريقة معينة محددة" (سبينوزا). وبالتالي فإن الإنسان الخاضع للهوى ليس حراً لأنه لا يتصرف وفقاً لـ "الضرورة الوحيدة لطبيعته" بل وفقاً لـ "شيء آخر" وهو

¹⁴ Marc RICHIR : docteur en philosophie, chargé de cours titulaire à l'université libre de Bruxelles, chercheur qualifié au F.N.R.S. (Belgique), directeur de programme au collège international de philosophie (Paris)

العقل في التاريخ: "لم يتم إنجاز أي شيء عظيم في العالم دون العاطفة"¹⁶. يمكننا أن نفكر بشكل مشروع في هذا في ضوء الأعمال الخالدة للفنانين و الإبطال والتي يزخر بها التاريخ. فهل الاهواء اغترب العقل كما قاله كانط أم هي طاقة إبداعية؟ هل يمكن أن تكون كلاهما في نفس الوقت؟

إن الحديث عن دور و أهمية الأهواء يقودنا إلى الحديث عن موضوع الرجل العظيم وبشكل أكثر دقة على النظرية التي تصوغها حول العلاقة بين الحرية والمحدود: هل الرجل العظيم مستقل أم خاضع للضرورة، و هل عواطفه هي قوة أم ضعف بالنسبة له، هل هو واضح أم محير؟

في حين أن فلسفة هيغل للتاريخ تظهر إلى حد كبير كنظرية عن الشعوب وشخصياتها وتمثلاتها وأعرافها، سوف ندافع هنا عن الفرضية القائلة بأن الرجل العظيم، بالنسبة لهيغل، هو الشخص الذي يحقق إرادة شعبه – غير المنعكسة في الأصل – ولكن لمصلحته الخاصة فقط. ومن ذلك الحين، إذا كانت عظمة عمله لا جدال فيها، فما هي وظيفة الرجل العظيم بالنسبة لهيغل؟ إن عمل الرجل العظيم مشروع، رغم أنه مدمر في كثير من النواحي، إلا أنه يندرج تحت "حق الأبطال"¹⁷. وفقاً للتفسير الكلاسيكي، فإن النظرية الهيجلية حول خدعة العقل تعني أن اهواء

لقد انتقلنا على مر القرون من شبه النفور التام إلى نوع من عبادة الهوى لما يجسده حول الجميل، والعظيم، والإنساني بعمق. حيث تُباع قصص الحب المستحيل والعاطفي مثل الكعك الساخن في المكتبات لأننا نبحت عن المتعة التي يمتزج فيها الحلم بالجنون و الاستثناء. هي عواطف لا يمنحها العقل .

فالخاضع للهوى هو الذي يعطي قيمة أكبر لموضوع هواه مما له في الواقع. ويمنحه تألقاً وجملاً أكثر مما هو عليه إضفاء المثالية على الكائن في سياق علاقة رومانسية أو إضفاء المثالية على ذكريات الفرد في حالة الرومانسية الحنين إلى الماضي. "...فكل من تعرض للهوى مهووس بموضوع هواه، ومستعد لفعل أي شيء ليعيشه، حتى لتحدي وصايا العقل الأكثر وضوحاً. عادة، نحن نحكم على الأهواء بأنها مستبدة ومنفرة، وهذا هو السبب وراء إدانتها لفترة طويلة لأنها كانت تعتبر أمراض النفس. وهكذا تدعو المسيحية إلى قواعد صارمة للحياة بهدف علاجي هو إلغاء كل العاطفة. لكن هذا هو بالضبط الأخلاق"¹⁵.

5- الاهواء مصدر قوة و طاقة هائلة في الإنسان :

هيغل، على عكس أسلافه، رأى أن الاهواء هي القوة الدافعة للعمل. لقد شبهها بالمصلحة الشخصية التي تم دفعها إلى ذروتها، وهي المصلحة التي من شأنها أن تحل محل جميع الآخرين والتي من شأنها تعبئة كامل نقاط القوة لدى الفرد لتحقيق تصميمه. لقد كتب في كتاب

¹⁶ هيغل العقل في التاريخ ترجمة امام عبد الفتاح امام الطبعة الثالثة 2007 دار التنوير

للطباعة و النشر بيروت ص 88

¹⁷ Hegel Principes de la philosophie du droit, § 350, W 7, 507, trad. J.-Fr. Kervégan, Paris, PUF, 2003, p. 436.

¹⁵ Nietzsche CREPESCULE DES IDOLES traduction eric blondel paris hatier 2001 p 52

الفيلسوف من الرومانسيين إذ جعل الهوى ليس أمراً سلبياً بل تعبير عن طاقة الإرادة²¹. علاوة على ذلك، بحكم الاهواء فإن عمل الرجل العظيم ليس فقط ملموساً، بل علنياً أيضاً وله تأثير على الشعب بأكمله: "ولذلك سأقول الهوى وأعني بذلك تحديد الشخصية إلى الحد الذي تكون فيه هذه التحديدات ليست ذات محتوى خاص بحت، ولكنها تشكل العنصر الدافع ((das Treibende) الذي يحرك الإجراءات العالمية²²». (das Wirkende) يتعارض الهوى في فكر هيجل، مع الحماس ((Enthusiasmus، الذي يجب فهمه على أنه طموح غير محدد وبدون ترجمة ملموسة²³. إن رغبة البطل تحت تأثير الهوى ليست هي ما تجعله يعتمد على الأحداث، بل على العكس من ذلك، هي ما يتمكن من السيطرة عليها وتطويعها لتحقيق غاياته الخاصة. ولأنه شغوف فإن الرجل العظيم لا يلتزم بالمثل البسيطة ولكنه يتصرف بشكل ملموس وفعال. علاوة على ذلك، يتضمن مفهوم الهوى عند هيجل فكرة التفرد حيث يسعى الرجل الخاضع للأهواء إلى غاية واحدة، وعلى عكس الرجل العادي، فلا يوزع نفسه على أهداف متعددة. وهكذا يجد هيجل تأكيداً لكانط، الذي يرى أن للعاطفة تأثير "يرفع إلى مستوى واحد كل ما هو جزء من غاياتها"²⁴. ولكن في

الرجل العظيم ستكون الوسيلة التي تسمح لـ "العقل" بالتلاعب به - ويُفهم العقل هنا على أنه مثال متعالٍ على التاريخ. وفقاً لتفسيرنا، لا توجد، بالنسبة لهيجل، سلطة فوق تاريخية تحكم التاريخ، لأن "عقلانية" التاريخ تعني، على العكس تماماً، أن الروح - هنا في صورة الشعب - تحكم نفسها. ومع ذلك، يبقى الناس منشغلين بمصلحتهم، كما أن الرجل العظيم لا يدافع إلا عن مصالحه الأنانية. إن "خدعة العقل" تعبر بدقة عن الخصوصية التي لا يمكن التغلب عليها للفعل التاريخي - وهو التناهي الذي يقود الشعوب والبشر إلى هلاكهم¹⁸

الهوى عند هيجل ابتعد عن المفهوم الكلاسيكي للعاطفة باعتبارها انعكاسات في النفس لحركات الجسد. تتعارض بعد ذلك مع العقل، الذي هو فكري ومستقل وعالي. إذا تم التقليل من قيمة الهوى تقليدياً، كما رأينا ذلك مع ديكاوت وسبينوزا وكانط، إلا أن الحركة الرومانسية تقدر الشخصيات ذات الاهواء العنيفة - أمثال غوته، أو كارل مور لشيرلر، أو لوسيند لفريدريك شليغل¹⁹ و في ذات السياق نجد لدى هيجل، مفهوم الهوى يسعى خصوصية الفرد ويشير إلى "غايات المصالح الخاصة"²⁰. ومن جهة أخرى، يقترب

²¹ Cf. RH, éd. cit. p. 85, trad. cit. p. 108

²² Ibid. (trad. mod.)

²³ Cf. RH, éd. cit. p. 101, trad. cit. p. 125. On retrouve ici la distinction faite entre le caractère (Charakter) et l'entêtement (Eigensinn) dans l'addition du § 395, de l'Encyclopédie, W 10, 73, trad. cit. p. 428-429.)

²⁴ Kant, Anthropologie, Ak. 7, 266, trad. P. Jalabert, in Kant, Œuvres, trad. par F.

¹⁸ La fin de l'histoire et la ruse de la raison chez Hegel », in G. Marmasse (dir.), L'histoire, Paris, Vrin, 2010, p. 97

¹⁹ Heidegger : Post-scriptum aux Miettes philosophiques, trad. P. Petit, Paris, Gallimard, 2002, p. 119).

²⁰ PH 1830-31, éd. cit. p. 156, trad. cit. p. 68. Cf. PH 1822-23, éd. cit. p. 59, trad. cit. p. 156, pour l'opposition de l'idée universelle et des passions particulières.

نهاية المطاف، من ناحية، فإن العمل التاريخي له مصدره في الاهتمامات الأنانية، ومن ناحية أخرى، فهو يتكون على وجه التحديد من التغلب على هذه الاهتمامات من خلال عمل ذو نطاق عالمي. هيجل مناهض للرومانسية بشكل حازم، لكنه يؤيد وجهة النظر الرومانسية باعتبارها اللحظة الافتتاحية لأي عملية تاريخية.

فاللهوى هو نقطة البداية، والعقل هو نقطة النهاية. ويرفض هيجل كل تفكير من حيث "إما... أو": أن يكون الرجل العظيم مهتمًا وأنانيًا لا يعني أن عمله غير منتج ولا يجعل من الممكن تحقيق الصالح العام. يكشف هيجل أن الأبطال عظماء حقًا، وأنهم يغيرون التاريخ ليس بسبب ظروف طارئة، بل بسبب رغبة محددة. من ناحية أخرى، و تكمن أصالة هيجل في جعل اللاهواء لحظة لا غنى عنها في الفعل التاريخي، ولكن في الوقت نفسه، الحفاظ على طابعها التبعي الأخلاقي.

إن كون الرجل العظيم هاويا لا يعني أنه مندفع. بل على العكس من ذلك فإن الأمثلة التي قدمتها دروس فلسفة التاريخ تبين أنه رجل تكتيكي يعتمد ويتصرف وهو على علم بالحقائق. ولهذا فهو مسؤول عن أفعاله. وبعبارة أخرى، فإن اللهوى لا تعني أي اختفاء لقدرة الرجل العظيم على وزن أفعاله وإرادتها وفقًا لأهميتها الأخلاقية نفسها. يجب على الرجل العظيم أن يحقق ما يتطلبه عصره - ولكن ليس هناك ما يضمن أنه سوف يقوم بواجبه. وهذا هو أحد جوانب محدودية الروح

حين أن هذا التصميم، بالنسبة لكانط، هو سبب للإدانة (اللاهواء تجعل صاحبها مهووسًا بأحادية)، فهو بالنسبة لهيجل سبب للثناء عليه إذ يتصرف بطريقة ثابتة ومتناسكة تمامًا: "في الواقع، [الرجال العظماء] كانوا شغوفين، أي أنه كان لديهم لاهواء لنهايتهم وكرسوا كل شخصيتهم وعبقريتهم وطبيعتهم لها." ²⁵

ومع ذلك، فإن اللهوى عند هيجل، تحتفظ بمعنى سلبي في الأساس. "يبدو، إذا جاز التعبير، كشيء حيواني" ²⁶ يمكن فهم عبارة "لم يحدث شيء عظيم في العالم بدون اللاهواء" ²⁷ على أنها اعتذار: فاللاهواء تظهر قيمتها من خلال عظمة الأفعال التي تسمح بها. لأنها قوية ومبدعة، ومن شأنها أن تكسر النماذج الراسخة وتؤسس عالما جديدا. الذي يقلل دائما من قيمة الفورية. وبدلا من ذلك، يتعين علينا أن نفهم هذه الجملة بطريقة جدلية: لم يتم تحقيق أي شيء عظيم دون نقطة بداية صغيرة. في مقابل الاعتذار الرومانسي عن اللهوى، يعارض هيجل التثمين المستمر للعقل. ومع ذلك، فهو يمنح الرومانسيين حقيقة أن اللاهواء تشكل البداية الحتمية لكل عمل عقلائي. في

Alquié (dir.), Paris, Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 1986, t. 3, p. 1083

²⁵Hegel des Principes de la philosophie du droit, Hegel paraphrase

²⁶ PH 1822-23, éd. cit. p. 70, trad. cit. p. 165.

²⁷ PH 1830-31, éd. cit. p. 160, trad. cit. p. 70. Hegel tire vraisemblablement la formule de Kant, qui la cite entre guillemets et la critique: « Rien de grand n'a jamais été accompli dans le monde sans violente passion » (Anthropologie, § 81, Ak. VII, 267, trad. cit. p. 1083). Kant s'inspire probablement des chapitres 6 et suivants de la troisième partie du De l'esprit d'Helvétius.

6- هل الاهواء كما يطرحها الراهن قد تجاوزت الحقل الفلسفي؟ :

قد يكون هذا القول مفاجئاً لأننا كثيراً ما نتصور أن الفلسفة تستطيع التعامل مع جميع المواضيع و في كل الأزمنة ، و يبدو أنّ مصطلح الهوى انسحب تدريجياً من الحقل الفلسفي ليحتضنه علم النفس وعلم الاجتماع و مجالات أخرى تبدوا الأكثر حضوراً في الحديث عنه اليوم. فهل كان من الضروري للفلسفة أن تستعير بشكل أكثر صراحةً من التخصصات التي ولدتها (علم الاجتماع وعلم النفس) لتسمح لنفسها بالتفكير في الهوى ؟

فكانت عندما يبحث عن الواجب الخالص للقانون الأخلاقي فلن يذهب أبداً إلى حد وصف أهمية الهوى وسيظل متمسكاً بفكرة عامة مفادها أنه يجب على المرء أن يعرف كيفية وضع الحدود وإعطاء توجهات واضحة للفرد. وبالمثل عندما يتحدث عن المشاعر التي تثيرها تجربة الجليل في كتابه نقد قوة الحكم: إذا اعترف بأن المرء يمكن أن يتأثر إلى حد البكاء بجمال أو جلالة العمل، فإنه يرى أنه تعبير عن حيوية. قوى، لكن عقلانيته تمنعه من اتخاذ الخطوة نحو فكرة الصدى لشيء ما فينا

من جانبه، كان هيجل قادراً على الاقتراب من الحماسة اليونانية (الإعجاب، والتأمل في موكب الآلهة)، لأن رؤيته للميتافيزيقا والتاريخ، تحت منظور نظامه الجدلي، تقود أولئك الذين يشتركون فيها إلى مراقبة العالم باعتباره عالمًا منطقياً لا يمكنه سوى تفسير ما يحدث بشكل لاحق. هكذا قال إنه رأى في نابليون يستعرض منتصرًا الروح (معنى وطاقة التاريخ البشري)

الموضوعية: فالرجل العظيم قد لا يحقق المعيار الأصلي الذي يحدده²⁸. عندما نتأمل في هذا المشهد من الاهواء وعواقب إطلاق العنان لها، عندما نرى اللاعقلانية المرتبطة ليس فقط بالاهواء ولكن أيضاً وقبل كل شيء بالنوايا الطيبة والغايات المشروعة، عندما يضع التاريخ أمام أعيننا الشر، والظلم، وخراب الحياة. في أكثر الإمبراطوريات ازدهاراً التي أنتجتها العبقريّة البشرية، عندما نسمع بالشفقة في رثاء الأفراد المجهولين، لا يسعنا إلا أن نمثلي بالحزن على فكرة الكفاءة بشكل عام. وبما أن هذه الآثار ليست من صنع الطبيعة فحسب، بل من صنع الإرادة البشرية أيضاً، إذن هيجل، على عكس أسلافه، رأى أن الهوى هي القوة الدافعة للعمل. لقد شبهها بالمصلحة الشخصية التي تم دفعها إلى ذروتها، وهي المصلحة التي من شأنها أن تحل محل جميع الآخرين والتي من شأنها تعبئة كامل نقاط القوة لدى الفرد لتحقيق تصميمه. لقد كتب في كتاب العقل في التاريخ: "لم يتم إنجاز أي شيء عظيم في العالم دون العاطفة"²⁹. يمكننا أن ولذلك فإن تحليل هيجل للرجل العظيم غامض إلى حد ملحوظ. من ناحية، لا غنى عنه وقادر على القيام بأشياء عظيمة، ومن ناحية أخرى، فإن معرفته وإرادته محدودة، ويمكنه التصرف بشكل سيئ، وغير قادر على أن يكون سعيداً حقاً..³⁰

²⁸ Hegel Cours d'esthétique III, W 15, 259, trad. cit. p. 240.

²⁹ هيجل: العقل في التاريخ ترجمة امام عبد الفتاح امام المجلد الأول دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الثالثة 2007 ص 70

³⁰ Gilles Marmasse, ancien élève de l'École Normale Supérieure, agrégé en philosophie et docteur en philosophie de l'Université Paris-I Panthéon-Sorbonne, est

بألا " نموت من الحقيقة" لأنه يغلفها بأشكال تجعلها قابلة للتصور بالنسبة لنا.

من الممكن ألا تكون الفلسفة وحدها هي التي تحتاج إلى إعادة بناء مجال اللاهواء ولكن أيضًا علم الاجتماع نفسه، في ضوء عالم نزيه، ولكن تغزوه المشاعر المأساوية (النشاط الغاضب لأي سبب، وعدم القدرة على المناقشة). يعرف علماء النفس كيفية استكشاف ما هو غير عقلائي، ويرى علماء الاجتماع آثاره على المجموعات، ولا ينبغي للفلسفة أن تخجل من الافتراض علنًا من بناتها للمغامرة في مجال جديد، وإلا فإنها تخاطر بالدوران في دوائر وارتكاب الأخطاء³¹.

أذا أردنا أن نكون صادقين في تعاملنا مع الإنسان علينا أن نحسن إدارة الذات بجميع أبعاده ، فلا يصبح تسير اللاهواء كبتًا ولا تقسيمًا ولا إنكارًا لها و . إنما الاشتغال عليها و بها . سوف نتذكر هيراقليطس وأمبيدوكليس، ورؤيتهما المأساوية: لا توجد عاطفة لا تحارب آخر، وآخر، الحب والكراهية، الانسجام والخلاف، الميل نحو الوحدة، والاتجاه المعاكس، ودائمًا ومرة أخرى دورة الصيرورة المستمرة ، براءة أن تصبح. هناك شيء ديونيسي في الأهواء كما يقول نيتشه ، سيكون من المدمر إنكاره، والذي به تنشط الحياة وتعالى وتضيق. الحياة والموت معًا، في حريق رائع و رهيب.

هناك أهواء عنيفة وأخرى متواضعة وهذه الإدمانات الصغيرة البائسة هي التي يتغذى منها الجميع على آلام الحياة، والتي تسمح لهم بالبقاء على قيد الحياة . أما اللاهواء العظيمة، في

المتجسد. ومع ذلك، في العمق، ليس للاهواء مكانها في النظام الكبير للأشياء التي يفترضها النظام الجدي...

نيتشه وشوبنهاور، من جانبهما، يقطعان الطريق: إنهما يفكران في ما هو غير عقلائي ويفترضانه، وربما يكونان الوحيدين القادرين على مساعدتنا في الوضع الحالي للأشياء. شوبنهاور لأنه يريد خلق ميتافيزيقا غير عقلانية (الإرادة، هذه الطاقة الحيوية الكلية واللامتناهية التي تظهر كل واحد منا دون أن يتمكن من التعرف على نفسه، مما يسبب حزن الوجود). نيتشه لأنه يدحض خطاب السلطة (وهو رومانسي على مضض).

و هكذا. في حالة نيتشه، من الصعب العثور على اقتباس أو موقف محدد، لأنه يحب الأمثال ويبدو أحيانًا أنه يناقض نفسه من فقرة إلى أخرى من نفس العمل. ومع ذلك، دعونا نذكر بعض المراجع

أولاً، في "مولد المأساة"، الفقرة 7، يشير إلى أن الفن يلعب دور المنقذ، والبلسم الذي يحول اشمئزازنا من الوجود الرهيب والعبثي إلى الجمال الذي يجعل الحياة ممكنة، وذلك عبر سامية المأساة، حيث الفن يروض الرعب ويخضعه، ومن خلال الكوميديا تحررنا من العبث.

ثم، في "هذا هو الإنسان"، فصل "لماذا أنا ذكي جدًا"، الفقرة 4، يحدثنا نيتشه عن شكسبير وإعجابه به، معتبرًا إياه رجلًا عميقًا وفلسفيًا. والذي استنتج منه نيتشه أنه ليس الشك هو ما يجعله مجنونًا، بل اليقين. ويضيف أنه يجب أن يكون لديك هاوية في داخلك لكي تفهمها، بينما نحن جميعًا خائفون من الحقيقة. هذه فكرة متكررة عند نيتشه: نحن أولاً وقبل كل شيء كائنات يسكنها الخوف والعبث، الفن يسمح لنا

³¹ Nicolas Stroz – Juin 2023 – Institut Français de Psychanalyse©

، السياسية وغيرها كثير من أجل الإقتراب أكثر فأكثر من انشغالات و هواجس الإنسان .

الببليوغرافيا :

باللغة العربية

1- أبو البقاء الكافوري كليات ابي البقاء مؤسسة الرسالة ناشرون 2018 ص 383

2- افلاطون محاوره فيدروس ترجمة اميرة حلي مطر دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع 2000

3- ديكرات : انفعالات النفس رسالة في اهواء النفس ترجمة جورج زيناتي الجزء الأول المادة 40 درا المنتخب العربي للدراسات و النشر .

4- كانط : نقد ملكة الحكم ترجمة غانم هنا المنظمة العربية للترجمة توزيع مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى 2005.

5- كانط، الأنثروبولوجيا من وجهة نظر براغماتية، ترجمة فتحي انقوزا دار نشر مكتبة صوفيا 2021

6- هيغل : العقل في التاريخ ترجمة امام عبد الفتاح امام المجلد الأول دار التنوير للطباعة و النشر الطبعة الثالثة 2007 ص 70

المعاجم :

1-المعجم الفلسفي جميل صليبا المجلد الثاني الناشر الشركة العالمية للكتاب - بيروت تاريخ الطبع 1414 هـ - 1994

2- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية . مكتبة الشروق الدولية 2005

باللغة الأجنبية :

1-Hegel Cours d'esthétique III traduction JANKÉLÉVITCH, éd. Aubier, 1944

السياسة، الفن، المعرفة لحياة غنية بالألوان الرائعة والفن والجمال الذي لا مثيل له. وفي ذلك هي تنمية الطاقة، وتأكيدها بمعنى الإبداع المجازي المسيطر عليه، كما فعلت مآسي اليونان، وشعراء وفنانين ومفكري الحياة العظماء، تم التقاطها في مأساتها الأساسية، وتحويلها إلى عمل ذو رؤية وجمال.³²

الخاتمة : فلسفة الأهواء هي جزء من فلسفة الإنسان ، باعتبار الإنسان هو الانشغال الفلسفي بامتياز لكل المدارس الفلسفية على مر العصور ، وإذا كانت آراء الفلاسفة قد اختلفت باختلاف مشارهم الفكرية و باختلاف عصورهم حول الهوى و الأهواء ، فإنما ذلك يعكس حيوية الفكر الفلسفي في تناوله لكل المواضيع التي ترتبط بالإنسان .

لكن على الفلسفة اليوم أن تعيد بناء كبريات اسئلتها بما يتناسب مع متغيرات العصر المتسارعة ، إذ لا نكتفي اليوم بمعرفة ما قاله كانط عن الهوى باعتباره مرض و بما قاله هيغل و نيتشه عندما وجد في الهوى طاقة خلاقية و ابداعية ، إنما علينا ان نستثمر كل ذلك لربطه بواقع الإنسان اليوم . لان الخطر لا يكمن في كون الهوى مرض أم لا . بل الخطر في جهلنا بالآليات التي تحرك إسان اليوم والتي تجعلنا - بسبب جهلنا - نساءل لماذا أنسان هذا العصر مختلف ؟ و قد يكون هذا العجز في معرفة الجواب على الأقل فلسفياً . دليلاً أن موضوع الإنسان اليوم تلتف حوله الكثير من التخصصات المادية التقنية النفسية الاخلاقية

³² Posté par : GUY KARL à 10:18 - PROMENADES PHILOSOPHIQUES : antiquité et modernité -

2 ----- Principes de la philosophie du droit trad. J.-Fr. Kervégan, Paris, PUF, 2003,

3- Heidegger : Post-scriptum aux Miettes philosophiques, trad. P. Petit, Paris, Gallimard, 2002,

4- Kant, Anthropologie, du point de vue pragmatique , trad. P. Jalabert, in Kant, Œuvres, trad. par F. Alquié (dir.), Paris, Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 1986, t. 3,

5- La fin de l'histoire et la ruse de la raison chez Hegel », in G. Marmasse (dir.), L'histoire, Paris, Vrin, 2010,

6- Nietzsche Crepuscules des idoles traduction eric blondel paris hatier 2001

7- Andre Lalande vocabulaire technique et critique de la philosophie Quadrige PUF volume 2 1993

Articles

1-« pouvoir des passions » Gilles Marmasse in Philosophie magazine <https://www.philomag.com/archives>

2-Antiquité et modernité GUY KARL - PROMENADES PHILOSOPHIQUES : -